جامعة اليرموك
كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
دائرة اللغة العربية .

أوجه العربية في شواذ القراءات في كتاب المحتسب

رسالة ماجستير

اعداد
جمعة محمد علوه

باشراف
الدكتور / خليل عمايرة

١٩٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة اليرموك
كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
دائرة اللغة العربية .

أوجه العربية في شواذ القراءات في كتاب المحتسب

اعداد
جمعه محمد علوه
ليسانس آداب / لغة عربية / جامعة دمشق - ١٩٦٧ .

٣٥٣٤

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في جامعة اليرموك ، تخصص لغة ونحو

أعضاء لجنة المناقشة

١) الدكتور / خليل عمايرة ..... (مشرفا)
٢) الدكتور / [illegible]
٣) الدكتور / [illegible]

١٩٨٦

Digitized by Arabic Digital Deposit Center of The University of Jordan

" بسم الله الرحمن الرحيم "

"مقدمة "

كان القرآن الكريم المحور الذي دارت حوله دراسات علماء العربية القدماء منذ فجر الثقافة الاسلامية ، لتوضيح غوامضه وتجلية أسراره ، وقد تعددت طرق الأداء القرآني تيسيرا لحفظه وتسهيلا لفهمه ، وكان ذلك بتشجيع النبي (ص) ، فهو يقول : نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فاقرأوا كيف شئتم " [1] ، وهذا التعدد أو الاختلاف في الأداء القرآني كان بداية نشوء علم القراءات ، فقد ظهر عدد من العلماء العرب يحتجون لهذه القراءات ، ويبينون وجوهها في كلام العرب ، وكان أن حظيت القراءات المشهورة التي اجتمع عليها المسلمون بنصيب الأسد في مؤلفات هؤلاء العلماء ، فظهر كتاب الحجة في علل القراءات السبع للفارسي ، ونظيره لابن خالويه ، وتذكر كتب التراجم والطبقات أسماء كثير من هؤلاء العلماء الذين تتبعوا هذه القراءات ، وألفوا في توجيهها العديد من المؤلفات . [2]

والاختلاف في الاداء القرآني ذو وجوه عديدة : فقد يكون بإحلال كلمة محل أخرى ، وقد يكون بوضع صوت أو حركة محل صوت أو حركة أخرى ، وقد يكون بزيادة كلمة أو انقاص أخرى ... وهكذا ، على أن هذا الاختلاف لا يقصد به وجود تناقض في معنى القراءتين ، ولذلك جعل ابن قتيبة هذا الاختلاف قسمين : اختلاف تناقض ، وهذا ليس من القرآن ، واختلاف تغاير ، وهذا يؤدي الى اتحاد معنى القراءتين ، ولهذا أيضا اشترط العلماء لقبول القراءة ألا يخلط عذاب بمغفرة أو حلال بحرام .
فليس عجيبا بعد ذلك كله أن تكون القراءات أغنى آثار المسلمين الثقافية والفكرية ، وبخاصة في علوم العربية - لأنها تحكي قصة الحضارة الاسلامية الأولى في بدء نشوئها وتكوينها ، ولذلك أيضا كان هذا العلم أجل علوم العربية واعظمها شانا ، وذلك لشموليته ، فهو ميدان خصب للدراسات اللغوية بمعناها الشامل الواسع من نحو وصرف وبلاغة .

وقد انعقد اجماع علماء المسلمين في القرن الرابع الهجري على ما أقره ابن مجاهد في تسبيع السبعة وعدّ ما بعد ذلك شاذا ، وبذلك انقسمت

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، نشر دار الكتب العلمية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة - ص / ٣٣ .

(٢) راجع مثلا كتاب الفهرست لابن النديم في تراجم النحاة والقراء معا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراءات قسمين : قسما متواترا ، وآخر شاذا، وهو ما خالف هؤلاء السبعة ، وكانت عناية العلماء منصبة على النوع الأول ، وقلت المؤلفات التي تحتج للقراءات الشاذة في هذه الحقبة من الزمن ، ومع ذلك فقد وصل الينا منها نزر يسير : ككتاب مختصر البديع لابن خالويه ، وكتاب المحتسب في تبيين شواذ القراءات والايضاح عنها " لابن جني "، وكتاب ابن جني يعد - بحق - أوفى الكتب واشملها ، من حيث مادته في هذه الفترة الزمنية ، وذلك أنه شمل القرآن كله ، كما أنه أعطى هذه القراءات ما تستحقه من التقدير ، وبيّن - كذلك - مدى موافقتها كلام العرب ، فالكتاب دراسة لغوية وافية ، انتظمت فروع العربية، مادتُها هذه القراءات الشاذة، وأسُسُها توجيهات نحوية وصرفية وصوتية وبلاغية ، وهذه كلها تكشف بشكل جلي وواضح صلة هذه القراءات الوثيقة بكلام العرب .

وكانت توجيهات ابن جني غير منظمة أو مبوبة ، فهو ينتقل بقارئه من توجيه نحوي الى آخر صرفي أو صوتي أو بلاغي ، وسأحاول في هذا البحث ابراز هذه التوجيهات ولمّ شتاتها وتبويبها وعرض أوجه القول فيها . .

سأحاول استقصاءها عند ابن جني ومن تلاه من المفسرين وعلماء القراءات ، كالزمخشري والأنباري والعكبري وأبي حيان ، وسيكون التركيز على التوجيهات النحوية - اذ ستحتل الجانب الأكبر في هذه الدراسة ، ولكننا لن نغفل الجوانب اللغوية الأخرى .

ومثل هذه الدراسة ستكون عظيمة النفع كبيرة الفائدة، فالقراءات بنوعيها ، تعدّ دراسة تطبيقية للغة العربية الفصحى ، اذ ان من شأنها أن تقدم للباحث نتائج موثوقة ، لأنها ترتفع بسندها الى النبي (ص)، فيكون الباحث بذلك أكثر اطمئنانا لنتائجه ، فصحة السند والمتن أبرز متطلبات البحث العلمي الجاد المثمر البناء .

فمن منطلق العناية بكتب التراث ، وابراز ما فيها من قيمة علمية كبيرة تفيد الباحث في الدراسات اللغوية كان لا بد من ابراز جوانب الدراسة اللغوية المتعددة التي تضمنّها كتاب المحتسب ، فهذا الكتاب لم ينل العناية التي يستحقها، لذا تقدمت بخطى حثيثة استجلي غوامضه وأقيم مادته ، يدفعني الى ذلك أستاذ جليل نذر نفسه لخدمة هذه اللغة ، فقدّم لها - وما زال يقدم - عصارة فكره وعقله ، ذلكم هو الدكتور / خليل عمايرة . المشرف على هذا البحث ، وما برح الأستاذ الكريم يشجعني ، ويقدم لي كل نصح وارشاد وتوجيه حتى استوى لهذا البحث عوده فجزاه الله عني وعن هذه اللغة وأهلها خير الجزاء .

والله - وحده يعلم ما لقيت من عناء ومكابدة ، فالمصادر قليلة نادرة، والمعروف منها يعسر الوصول اليه ، والبحث في القراءات الشاذة ما زال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غضاً طري العود ، ومن ثمّ لا يسلم الباحث من الوقوع في المزالق لأنه أمر يمس عقيدة المسلم ، واذا - وضعنا هذه الاعتبارات أمام أعيننا ظهر لنا العناء الذي يلاقيه الباحث في التقصّي والتحرّي ، لقد كان على هذا البحث أن يقابل هذه القراءات الشاذة بنظيراتها في القراءات المشهورة ، كما كان عليه أيضا أن يوازن بين متن هذه القراءات واسنادها عند ابن جني وعند غيره من العلماء .

وأما المادة اللغوية نفسها فان الأمر يقتضي العودة الى كتب النحو والصرف والأصوات والبلاغة للمقابلة بين الاراء المتباينة في هذه المسألة أو تلك . ولابن جني شواهده الكثيرة ، فكان لزاما عليّ أن استوثق منهما في كتب النحو واللغة - بخاصة - وأقر أني انتفعت بمعجم الشواهد النحوية للدكتور / حنا حداد فقد يسّر لي هذا المعجم النافع سبيل الاتصال والاستيثاق من هذه الشواهد بأقصر طريق وأيسر سبيل .

أما البحث نفسه فهو في خمسة فصول : -

- يتناول الفصل الأول عدة معالم بارزة منها : -

أ - مدى تأثير ثقافة القرن الرابع الهجري في فكر ابن جني وعقليته ، فقد أبرزت بايجاز شديد صورة هذا القرن الثقافية : من فلسفية ودينية ، فوضع العلماء عددا كبيرا من المصنفات، تفاعلت كلها في فكر ابن جني . وظهرت آثارها واضحة في كتاب المحتسب .

ب - قدّمت دراسة وافية لكتاب المحتسب من حيث منهجه ومصادره وقيمته ومادته وأسلوبه في العرض :

أما منهجه فقد قام على ابراز موضع الشذوذ دون ذكر الآية كاملة ، مع ذكر من قرأوا بها ، ثم توجيه هذه القراءة وعرض آراء العلماء فيها ، وقد يرجح رأيا على آخر ، وربما يرفضها جميعا .

- ترتيب كتابه حسب ورود السور في القرآن الكريم ، ولذلك تناثرت الدراسات اللغوية في متن كتابه كما أسلفت .

الموازنة بين القراءات : فقد يوازن بين قراءة متواترة وأخرى شاذة، وقد يوازن بين قراءتين متواترتين أو شاذتين ، فيرجح احداهما على الأخرى من حيث قوة المعنى وشرفه ، أو من حيث قوة القاعدة النحوية .

أما مصادره فقد جمعت بين مصادر الكوفيين والبصريين ، ولكنها ليست على مستوى واحد في قيمتها ، فقد فاضل ابن جني بينها ، فانتقد كتاب قطرب في القراءات الشاذة ، وهو واحد من مصادره - في حين وثّق كتاب ابن مجاهد مثلا فعدّه أصحها وأوثقها .

وأما مادته فرغم أن الكتاب - كما يدل عنوانه - قد وضع احتجاجا للقراءات الشاذة فانه وجه بعض قراءات السبعة والعشرة على حد سواء ، فنحن نجد توجيهات لأبي عمرو بن العلاء ونافع والحضرمي وأبي جعفر المدني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيرهم ، وهذا يؤكد حقيقة ثابتة - ذكرها ابن جني في أول كتابه ، واشرت اليها في موضعها من هذه الدراسة ، وهي أنه لا يعد هذه القراءات شاذة ، لأنها - عنده - في أعلى درجات الثقة والصحة ، ولذلك ما برح يدافع عنها دفاعا قويا ، بل لقد رجح كثيرا من الشواذ على قراءات متواترة ، وقبوله بتشذيذها يرجع الى أنه رجل مؤمن لا يريد أن يخرق اجماع المسلمين الذين اجتمعوا على تسبيع السبعة ، حيث عدّوا ما خالفها شاذا .

وأما أسلوبه فقد كان موجزا ، يدعم اراءه بالوسائل العقلية والنقلية ، فلذلك حشد عددا كبيرا من شواهد الشعر والنثر في مختلف القضايا اللغوية ، وأما توخيه الايجاز فلأنه لا يريد أن يقع في ما وقع فيه الفارسي من اطالة ، وابن جني لا يترك قارئه الا وقد أيقن أنه وصل به الى حد الاقناع .

وتبدو قيمة الكتاب في أنه أول كتاب وصل الينا وافيا شاملا ،يحتج للقراءات الشاذة ،ويحشد لها من الشواهد والأدلة الشيء الكثير .

ج - تحدثت عن معنى القراءات ،وشروط القراءة الصحيحة ، وذكرت أن الاخلال بواحد منها يضعها في دائرة الشذوذ ،وتحدثت عن موقف ابن جني من القراءات الشاذة وقرائها ، فالفراء في أعلى مراتب التوثيق ، والقراءات الشاذة ليست أقل ثقة من قرائها ، وذلك لاتصال سندها بالنبي (ص) ، ولافصاحها عن المعاني في كثير من الأحيان ، ولأنها أيضا - قد تؤكد وترسخ كثيرا من القواعد النحوية .

د - وأشرت - بايجاز شديد - الى الأصول التي استند عليها ابن جني في توجيه هذه القراءات ، لكني أطلت الوقوف عند واحد منها - وهو التأويل ، وذلك لقوة العلاقة بينه وبين توجيه هذه القراءات، فهذه القراءات غريبة في ظاهرها ، ومن ثم فهي أشد حاجة الى التأويل والتقدير بمختلف مظاهره .

- وكان الفصل الثاني مخصصا لدرس التراكيب النحوية : تناولتها مرتبة حسب أبواب النحو، بدأت بالمرفوعات فالمنصوبات فالمجرورات فالتوابع ، حيث عرضت جملة من المسائل النحوية تحت عناوين بارزة لكل مسألة ، وكنت أعرض المسألة من خلال آراء العلماء ، ثم اورد بعضا مما ورد فيها من قراءات شاذة ، أدرسها من خلال آراء المفسرين والمعربين ، وأبرز رأي ابن جني بخاصة، مع ابراز جملة الوسائل التي استدل بها ، فمن القضايا البارزة التي ذكرتها ، قضية تنكير اسم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النواسخ وتعريف خبرها ، وهي ظاهرة غريبة كما يبدو ، ولكن ابن جني يحتج لها ، ويستشهد بجملة من الشواهد ترد في حينها ، ومنها أيضا قول الصلتان العبدي يحكم بين جرير والفرزدق :

أرى الخطفى بدّ الفرزدقّ شعرُه ولكن خيرا من كليب هجاشع

أمالي القالي ١٤١/٢ .

وكان الفصل الثالث مخصصا للأدوات ، حيث تحدثت عن معنى الأداة وعملها وتعرضها للحذف او الزيادة ، وتحدثت كذلك عن وزن بعضها وتركيبه واشتقاقه مع ابراز بعض الظواهر اللغوية الغريبة في احوال الأدوات ، ومثال ذلك أن - " اذا " - و " وبين " قد تخرجان عن الظرفية ، فتكونان اسمين يحتلان مواقع اعرابية مختلفة ، وأن " ذو " قد ترد زائدة ، وقد استعنت بعدد وافر من كتب الأدوات ككتاب اللامات وحروف المعاني للزجاجي والأزهيه واللامات للهروي ، ورصف المباني للمالقي ، والجنى الداني للمرادي ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري وغيرها .

وكان الفصل الرابع مخصصا للحركات ، حيث تحدثت عن الاعراب : معناه وفائدته ، ورأي العلماء فيه ، وبخاصة - رأي قطرب والزجاجي ، كما أشرت الى آراء الباحثين المعاصرين وانكار بعضهم له ، كابراهيم انيس مثلا .

ثم جعلت هذه الحركات ثلاثة أنواع : أولها حركات اعراب : قد تكون ذات دلالة معنوية معينة في أبواب خاصة كالاغراء والتحذير والنداء ، وثانيها : وهذه لا تحمل أي دلالة معنوية ، وسميتها حركات اقتضاء ، لأنها تكون اقتضاء لعامل خارجي، أثر في الاسم او الفعل فكانت الحركة دليلا على هذا الأثر - كنصب اسم ان أو خبر كان - أو الجزم بأدوات الشرط ، والنوع الثالث : حركات المباني الصرفية ، وهي ذات دلالات معنوية بارزة ، لأن أي تغيير في حركة المبنى الصرفي يؤدي الى تغيير في معناه ، وأبرزت رأي ابن جني في التفريق بين دلالة هذه الحركات .

وخصصت الفصل الخامس للحديث عن التوجيهات الصوتية والصرفية والبلاغية ، حيث توخيت فيه الايجاز ، لذا غلب عليه طابع العرض والنقل، وكان ذلك بالحاح من الدكتور المشرف على هذا البحث ، فقد رأى في ذلك استيفاء للموضوع من جميع جوانبه : -

أ - ففي التوجيهات الصوتية تحدثت عن كثير من هذه الظواهر ، كالابدال والاتباع والاشباع والتقاء الساكنين ، وأشرت الى أن بعضها قد تكون عادات نطقية لدى بعض القبائل العربية ، وأشرت كذلك الى علاقة بعض الأصوات بمدلولاتها ، فالكاف والدال للفعل القوي ، والسين والصاد للفعل الضعيف ..... وهكذا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - وفي التوجيهات الصرفية ذكرت أنها نوعان : منها ما يكون ذا صلة قوية بالمعنى ، وأشرت الى عدد كبير من المباني الصرفية ودلالاتها على هذه المعاني ، ومنها ما يكون ذا علاقة قوية بالشكل ، وهذا يتعلق بما تعرفه من قواعد وقوانين صرفية : كالاعلال والقلب والميزان الصرفي .... الخ .

جـ - وأشرت في التوجيهات البلاغية الى العلاقة القوية بين بعض أبواب البلاغة والنحو : كالتقديم والتأخير والتضمين والتجريد .. .... وغيرها ، وأثر ذلك كله في قوة المعنى .

وختمت البحث بخلاصة : بينت فيها بعض نتائج هذا البحث ، وتقدمت بجملة اقتراحات لمواصلة البحث في شواذ القراءات - بعامة - ، والجوانب الصرفية والصوتية بخاصة .

وأخيرا رأيت من النافع أن أزود القارئ الكريم ببعض التراجم لأصحاب القراءات الشاذة المغمورين ، من الذين وردت أسماؤهم في متن هذا البحث ، كما زودت البحث بفهرسة عامة للمصادر والمراجع والمواضيع والأشعار والقراءات القرآنية المدروسة والأمثال والحكم والأحاديث النبوية الشريفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الاول

اولا :

* عصر ابن جني : (١)

ليس من شأن هذه الدراسة ان تؤرخ لحياة ابن جني ، فذلك ميسور لمن يريد تتبعه ، على أنه لا بد من اشارة موجزة الى العصر الذي عاش فيه ، وهو القرن الرابع الهجري ، فقد ولد ابن جني ، وعاش حياته كلها خلال هذا القرن ، حيث توفي سنة ٣٩٢ هـ ، وهذه الفترة تميزت بالمتناقضات الغريبة ، فقد عانت الدولة الاسلامية من التمزق السياسي والانقسام الى امارات متعددة هنا وهناك ، حتى انه لم يعد للخليفة في بغداد سوى السلطة الاسمية ، ورغم هذا الانقسام فقد انتشرت ألوان المعرفة وصنوف الثقافة : من فقهية وفلسفية وكلامية ولغوية وأدبية ، وكثرت المراكز العلمية ودور الكتب ، وعجت قصور الأمراء والوزراء بالأدباء والشعراء والفلاسفة ، وأخذ الولاة يتنافسون في تقريب المثقفين والعلماء ، بل ان بعض أولئك الأمراء كانوا من ارباب العلم وأهل المعرفة ، كبني بويه في بغداد ، وبني حمدان في الموصل ، وليس ذلك فحسب ، بل أن الثقافة نفسها قد أينعت ونضجت بعد ان كانت في القرون الثلاثة الماضية في طور النشأة والتكوين ، فأصبح الاعتزال ذا اصول ومبادىء راسخة ، ومثل ذلك يقال في مذهب التشيع ، ويكفي للتدليل على نمو الثقافات في هذا العصر أن نذكر أن كثيرا من رجال العلم والفكر قد عاشوا في هذا القرن ، كالفارسي والرماني وابن فارس والصاحب بن عباد وأبي الحسن الصرازي وابن سينا ، وان نظرة في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ترينا مدى التقدم العلمي والازدهار الثقافي في هذه الفترة الزمنية (٢).

وازاء ذلك كله ظهر اثر هذه الثقافات والعلوم والمعارف في مؤلفات أدباء هذا العصر وعلمائه ، وانتشرت بينهم الفاظ الفلاسفة والمتكلمين والمناطقة ، وشاعت اساليبهم في الجدال والحوار ، ويمكن ان نلتمس

---

(١)- ترجمته في : انباه الرواة ٣٣٥/٢ ، نزهة الألباء / ٢٤٤ ، بغية الوعاة ١٣٢/٢ ، ومن المراجع الحديثة : ابن جنى النحوي د/فاضل السامرائي .

(٢)- انظر كتاب : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لأبي منصور الثعالبي ، وكتاب النثر الفني في القرن الرابع د / زكي مبارك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك واضحا في مؤلفات النحويين : كالرماني والفارسي ، بل لقد شاعت الأساليب والمصطلحات الفلسفية على ألسنة الشعراء كالمتنبي ت ٣٥٤ هـ ، وما من شك في ان ابن جني ، وهو واحد من رجال هذا القرن ، قد تأثر بثقافة عصره ، فالرجل ذو ثقافة موسوعية عظيمة تبدو واضحة في ما خلفه لنا من مؤلفات : اذ بحث في النحو والصرف واللغة والاصوات والشعر والقراءات ، وهذه المؤلفات ملأى بألفاظ المتكلمين والفلاسفة والبلاغيين والموسيقيين والفقهاء والعروضيين .

هضم ابن جني ثقافة عصره وتمثّلها في مؤلفاته ومصنفاته المختلفة حتى ليبدو لقارئه انه متشيع لما يستخدمه من ألفاظ الشيعة ومصطلحاتهم ، او معتزلي لما يستخدمه من الفاظ المعتزلة ، وبعبارة موجزة " كان ابن جني ركنا من اركان القرن الرابع الهجري ، وابنا وفيا لثقافة هذا القرن وعلومه المتنوعة .

ثانيا : كتاب المحتسب*

زمن تأليفه واسبابه : اشار ابن جني الى ثلاثة اسباب ، اولها عظمة شأن القراءات وقوتها ، ووصول سندها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعليه فهي حريّة بأن تبيّن وجوهها ، ولا يعدل عنها ، فحين وضع ابن مجاهد كتابه "السبعة في القراءات" انبرى كثير من العلماء يحتجون لها ، ويبينون وجهها في العربية كما فعل الفارسي مثلا في كتابه الحجة ، وثانيهما أن احدا لم يضع للشواذ كتابا يحتج لها ، ويبين وجه شذوذها ، فتكفل هو بذلك ورأى ان ذلك عمل يقربه من الله ، ولأجل ذلك سمّاه " المحتسب " ، يقول ابن جني : " وكان من مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتابا فيه ، ولا اولوه طرفا من القول عليه ، وانما ذكروه مرويا مسلّما مجموعا أو متفرقا " [1] ، اما هو فقد أفرد لهذه الشواذ كتابا بيّن فيه عللها وأسرارها ، وانتصر لها ، بل انه يرجح - أحيانا - قراءة شاذة على أخرى متواترة .
وثالثها وفاء ابن جني لأستاذه الفارسي ، فقد كان ابو علي الفارسي نوى ان يضع للشواذ كتابا كما وضع للمتواترة كتابا ، ولكن الأيام حالت دون ذلك ، فقام ابن جني بتنفيذ ما كان استاذه نواه [2] .

---

* المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : لابن جني : تحقيق علي النجدي ناصف وزميله : القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ ، سنة ١٩٦٩ م .

(١) - مقدمة ابن جني لكتابه ص/ ٣٣ :

(٢) - السابق / ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرجح انه قد ألفه في العقد الأخير من حياته ، فهو يبدو دائم الترحم على استاذه الفارسي الذي توفي سنة ٣٧٧ [١] ، في حين توفي ابن جني - كما علمنا - سنة ٣٩٢ هـ [٢] ، واذا كانت ولادته قبل سنة ٣٣٠هـ (٢) فان الفترة الزمنية بين وفاة الرجلين لا تتجاوز خمس عشرة سنة ، وفي هذه الفترة ألف الكتاب ، ولذا فان سنه تكون قد تقدمت ، ويؤكد ذلك ايضا ان التلميذ صحب استاذه اربعين عاما (٢) ، فاذا كانت هذه الصحبة بدأت في سن العشرين على أقل تقدير فان بداية تصنيف الكتاب كانت وهو في سن الستين ، وهذه سن متقدمة بلا أدنى شك .

ويضاف الى ذلك ان ابن جني يكثر من ذكر الآخرة وضرورة التزود لها ، ويذكر انه استوفى الصحف المحفوظة، وان علائقه الدنيوية انقضت او اوشكت ، لذا فهو يرجو الاخرة وثوابها [٣] ، وان كان الكتاب قصد الف في أواخر حياة صاحبه فانه يكون قد بلغ ذروة نضجه الفكري والثقافي ، ولهذا دلالته ومعناه ، اذ برزت أساليب الجدليين من المعتزلة والفلاسفة واضحة جلية في تخريجاته ، فهو يكثر من المقاييس والافتراضات الجدلية والفلسفية ، كما يصطنع مصطلحاتهم وأساليبهم ليصل بقارئه الى درجة الاقناع ، فهو يذكر ، " أن جمع الافعال : ماضيها وحاضرها ومتلقاها مجاز لا حقيقة " [٤] ، ويبرهن لذلك قائلا : ألا تراك تقول : قمت قومة ، وقمت على ماضي دال على الجنس ، فوضعك القومة الواحدة موضع جنس القيام ، وهو فيما مضى ، وما هو حاضر ، وفي ما هو متلقى من أذهب شيء في كونه مجازا " [٤] ، ويضيف قائلا : ان الناس يسمعون ذلك منه فيعجبون ، ومع ذلك فان كثيرا ممّن لا يعجبهم ذلك يتساءلون / أوَكذلك أفعال القديم عندك ؟ " [٤] يجيب ابن جني : هذا موضع لا تعلق له بذكر القدم والحدوث ، وانما هو طريق مسلوكة يتعاقبها القديم والمحدث تعاقبا واضحا ، فان قلت : نعم لزمك ان يكون هو الخالق لأفعال العباد ، و مذهبك نأف لهذا عندك " [٤] .

---

(١) - نزهة الألباء للأنباري ص / ٢٣٣ تحقيق د / ابراهيم السامرائي ط ٣ ١٩٨٥- الأردن الزرقاء .

(٢) - بغية الوعاة للسيوطي ٢ / ١٣٢ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ - دار الفكر .

(٣) - انظر لذلك مقدمة ابن جني لكتابه ٣١/١ ، ومقدمة المحققين ،وامثلة عبارات الترحم فانظر مثلا : المحتسب ٥٢/١ ،١٨٦ و ٢ / ٧٤ .

(٤) - المحتسب ١ / ٢٣٩ ، وانظر ايضا : ١ /٣٧ - ٣٩ ، ١٢٣ ،٢ / ٩٠ ، ٣٧٥ ، ١٨٣ .

٣٤٤٥٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحس ونحن نقرأ هذا النص - أننا لسنا أمام عالم لغوي ، بل امام فيلسوف من أهل الكلام والجدل والمنطق ، ففي النص دلالة واضحة على تأثر ابن جني بثقافة عصره التي وعاها وعيا تاما ، وتمثلها في مؤلفاته .

مصادره :

مرّ بنا أن من الدوافع التي دفعت ابن جني الى تأليف كتابه أنه لم يجد عالما ألف في تخريج القراءات الشاذة وتعليلها وبيان وجهها في العربية ، فتصدى هو للدفاع عنها ، مستعينا بآراء كثير من النحاة والقراء ، نراها مبثوثة هنا وهناك ، بين كتاب نحوي تارة ، او مصنف من مصنفات اعراب القرآن ومعانيه تارة أخرى ، وربما استعان ببعض كتب الشواذ * .

وقد فاضل ابن جني بين مصادره ، فوثق بعضها وانتقد بعضها الآخر ، فاوثقها عنده كتاب ابن مجاهد في الشواذ ، وذلك لصحة اسناده وروايته لا من حيث الدراية والمعرفة بمسائل اللغة ، اذ كثيرا ما نراه يثني على اسناده وصحة روايته ونقله ،وفي مواضع اخرى يسرد آراءه في المسائل اللغوية والنحوية [1] .

ومن مصادره ايضا كتاب في الشواذ لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني [1] وآخر لقطرب [2] ، وقد انتقد ابن جني كتاب قطرب هذا ، وفضل عليه كتاب ابي حاتم السجستاني لثلاثة أسباب : [2] هي أن كتاب أبي حاتم أجمع للقراءات ، وهو متخصص بها خلافا لكتاب قطرب ، ثم ان كتاب قطرب مملوء بالتعليلات والاستنباطات والاستشهادات ، وهذا الذي نقم ابن جني من كتاب أستاذه " الحجة " ، فاحترس لنفسه عند تأليفه المحتسب ، فجاء به موجزا مختصرا . ومن هذه المصادر أيضا كتاب معاني القرآن للفراء ، ومثله للزجاج .

---

* لعل ابن جني يقصد أن أحداً لم ينهض لتوجيه هذه القراءات ، فيبين صحة ورودها في العربية ، ويعلل لذلك بمختلف وسائل الاقناع ، وقد تكفل هو بهذه المهمة ، وعليه فانه يجب قبول هذه القراءات ، خلافا لكثير من النحاة الذين وصفوا بعض هذه القراءات باللحن والضعف والغرابة ، وقد ردّ ابن جني عليهم أقوالهم .

(١) - مقدمة ابن جني للمحتسب / ٣٥ .

(٢) - المقدمة / ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجه في الكتاب : -

سلك ابن جني أسلوبا واحدا في عرض كتابه ، رتب فيه الآيات موضوع الدراسة - حسب ورودها في القرآن الكريم ، ولذا تناثرت الموضوعات اللغوية بين صفحاته دون ترتيب أو تبويب ، فنحن نرى تخريجا نحويا يليه تخريج صوتي أو بلاغي أو صرفي حيث يعرض القراءة الشاذة ، ويشير الى قارئها وموضع الشذوذ فيها دون أن يذكر الآية بتمامها ، وقد ينقل رأيا لأحد من نقل عنهم كابن مجاهد وأبي حاتم فيرفض هذا الرأي أو يقبله : فاذا رفضه بيّن وجه رفضه فذكر موافقه تلك القراءة لوجه من أوجه العربية ، واحتج لها بمختلف وسائل الاستدلال المتاحة كالسماع والقياس والتعليل ، فاذا اعيته الوسيلة الظاهرة التجأ الى التقدير والتأويل ، وقد يسرد تلك القراءة الى احدى لهجات العرب ولغاتها يعرض ذلك كله باسلوب موجز قلّما يخرج عنه ، بل إنه اذا شعر بشيء من الاطالة تنبه لذلك ، وقال : ولولا الاطالة لأتيت من ذلك بكذا - أو أن يقول : تحاميا للاطالة ..... الى آخر هذه التعابير التي يتحامى فيها الاسهاب ويتوخى الايجاز . واذا عرض مسألة معينة كان قد ذكرها في الكتاب نفسه ، أو في بعض مؤلفاته السابقة أشار الى ذلك توخيا للايجاز * أيضا يقول مثلا : وقد شرحنا هذا في كتابنا سر الصناعة ، وبأخرة في كتابنا " الخصائص، وبعده في كتاب " الخطيب " (١) .

ورغم ذلك الايجاز الذي هو سمة رئيسية من سمات منهج ابن جني فانه يستوفي المسألة أو القراءة الموجهة بعرض آراء النحاة ، او بعرض وجهة نظره الخاصة ، وقد يختار رأيا يراه الأصوب .
ومن سمات منهجه البارزة أنه يوازن بين القراءات المختلفة ، فقد يوازن بين قراءتين شاذتين ، فيرجح احداهما على الأخرى ، ومن ذلك قراءة : (عظما فكسونا العظام) المؤمنون / ١٤ ، وقراءة : (عظاما فكسونا العظم) ، فهما قراءتان شاذتان ، يقول ابن جني

---

(١) - المحتسب ٢ / ١٦٢ .

* - يقول مشيرا الى ذلك : " لكنا نحذف - لعلمها نحذر - الاطالة ، اذ كان هذا كتابا ليقرب على القراء ولا يلطف عنهم ، وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرا ممن يدعي العربية فضلا على القراة منه وأجفاهم عنه " (المحتسب ١/٢٧٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في توجيهها : " من قدّم الافراد ثم عقب بالجمع أشبه لفظا لأنه جاور بالواحد لفظ الواحد الذي هو انسان ، سلالة ، نطفة علقه ، مضغه ، ثم عقب بالجماعة لأنها هي الغرض ، ومن قدّم الجماعة بادر اليها ، اذ كانت هي المقصود ، ثم عاد فعامل اللفظ المفرد بمثله لانصرافه عن اللفظ الى المعنى " (١) ، وقد رجح ابن جني القراءة الأولى لأنها تسير وفق أسلوب كلام العرب حيث يقول :" لانها أجرى على قوانينهم " (١) ، والآية احدى ثلاث آيات سابقة تتحدث عن مراحل خلق الانسان ، وهي قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون ١٢-١٤.

وقد يوازن بين قراءتين : احداهما متواترة ، والأخرى شاذة ، فمن ذلك قراءة الجماعة : (باربعةٍ شهداء) النور / ٤ وقراءة الشذوذ بتنوين تاء اربعة : (بأربعةٌ شهداء) ، يقول ابن جني : " فأما وجه قراءة الجماعة "بأربعةٍ شهداء " بالاضافة فانما ساغ ذلك لأنهم قد استعملوا الشهداء استعمال الأسماء ، وذلك كقولهم : " اذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة " ، وقوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) ، البقرة / ٢٨٢ ... الى ان يقول : فلما اتسع ذلك عنهم جرى عندهم مجرى الاسم، فحسنت اضافة اسم العدد اليه حسنها اذا اضيف الى الاسم الصريح أو قريبا من ذلك " (٢)، ويقول في توجيه القراءة الشاذة : " هذا حسن في معناه، وذلك أن أسماء العدد من ثلاثة الى العشرة لا تضاف الى الاوصاف ، لا يقال عندي ثلاثة ظريفين الا في ضرورة الى اقامة الصفة مقام الموصوف " الى أن يقول : " والوجه عندي ثلاثةٌ ظريفون ، وكذلك قوله : بأربعةٍ شهداء " لتجري "شهداء " على أربعة وصفا " (٢) ، فقول ابن جني " والوجه عندي " اشارة ذات دلالة واضحة على ترجيحه القراءة الشاذة ، لأنها تجري على أصل القاعدة النحوية .

وقد يرجح القراءة المتواترة استنادا الى شرف المعنى وقوته كما في القراءتين : (ويتوبُ الله) التوبة / ١٥، وهي قراءة الجماعة ، (ويتوبَ الله) وهي القراءة الشاذة . فالرفع يجعل الجملة مستأنفة ، وذلك يعطيها قوة وتوكيدا ،يقول ابن جني :" فالتوبة منه - سبحانه - على

---

(١) - المحتسب ٢ / ٨٧ وما بعدها .

(٢) - السابق ٢ / ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من يشاء ليست مسببة عن قتالهم ، ويقول ايضا : " فسبحان ذهبت تعلق هذه التوبة بقتالهم اياهم كان فيه ضرب من التعسف بالمعنى " (١) لكن النصب يجعل الفعل " ويتوب " متعلقا ومتوقفا على قتالهم ، والله - تعالى يتوب على عباده بقتال وبغير قتال ، ومن هنا رجّحت قراءة الجماعة (*) .

ونلاحظ ان ابن جني يستند في هذه الترجيحات على قوة المعنى تارة ، أو قوة القاعدة النحوية تارة ثانية ، أو على دعم الشواهد اللغوية لهذا التوجيه تارة ثالثة . ومن سمات منهجه ايضا أنه يصف بعض القراءات بالضعف أو الفساد أو القبح ، وقد يلحن بعضها ، وربما وصف بعضها بالغرابة والشذوذ ، ذلك ، أن مثل هذه القراءات تخالف مألوف القاعدة النحوية ، وعلى الرغم من ذلك فهو يلتمس لها مخرجا توافق فيه أصول كلام العرب أو قواعد النحاة ، وذلك يضطره الى التعسف في التأويل ، وافتراض الفروض الوهمية : ومن هذه القراءات قراءة (خُطُوات) البقرة / ١٦٨ ، فقد غلّط ابن جني هذه القراءة ، ومع ذلك فقد التمس لها المخرج من وجهين : " أن تكون مما همز ولاحظ له من الهمز ، نحو : حلأت السويق ، ورثأت زوجتي بأبيات ، والذئب يستنشيء ريح الغنم " .(٢) ، والوجه الثاني الذي افترضه ابن جني وهو يعود في الحقيقة الى الأول " أنه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ ، فلما تصوّر ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها "(٢) ، والعلتان تعودان الى ما يمكن أن يطلق عليه اسم " الهمز الاعتباطي " ، وهذا الهمز لا يسير وفق قياس مطّرد ، ولكنه يجري وفق كلام العرب ، ومثله قراءتنا :(لترون الجحيم) التكاثر /٦ و (اشتروا الضلالة) البقرة / ١٦ (٣) ، ويؤكد ذلك أن أبا حيان ذكر أن هذه الهمزة أصل ، اذ يقول : الهمزة أصل ، وهو من الخطأ جمع خطأة " (٤)

ومن القراءات التي غلّطها ابن جني قراءة (وما تنزلت به الشياطون) الشعراء / ٢١٠ فقد ذكر أن " هذا مما يعرض مثله للفصيح ، لتداخل الجمعين عليه وتشابههما

---

(١) المحتسب ١ / ٢٨٥ .
(*) - انظر أيضا : المحتسب : ١٥٥/١ ، ٢٢١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٢ ، ١١٥/٢ ، ١٨٥ .. الخ .
(٢) - المحتسب ١ / ١١٧ .
(٣) - انظر في همز هاتين القراءتين : الكشاف ٢٨١/٤ ،البيان في غريب القرآن للأنباري ٢ / ٥٣٢ .
(٤) - البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي / ٤٧٩/١ . الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة / الرياض السعودية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا : - سرد تفصيلي لموضوعات البحث

مقدمة

١ - ٦

الفصل الأول

٧ - ٣١

١ - عصر ابن جني ، سمات العصر أثر ذلك في ابن جني ٧

٢ - كتاب المحتسب ٨ - ١٥
زمن تاليفه ، أسباب تاليفه ، مصادره ، منهجه في الكتاب ، قيمته .

٣ - موجز في القراءات : ١٥ - ٢٣
معناها ، معنى الشذوذ ، موقف ابن جني من القراء ، قيمة القراءات الشاذة .

٤ - أصول الاستدلال لشواذ القراءات (نبذه موجزة) : ٢٣ - ٣١
الشواهد الشعرية والنثرية ، القياس والتعليل ، استصحاب الحال (الأصل)، العامل ، التأويل والتقدير ، الباحثون المعاصرون والتأويل ، مظاهر التأويل : - الحذف والزيادة ، التأويل بمصدر ، مظاهر أخرى ، استدلال ابن جني بأقوال النحاة والعلماء .

الفصل الثاني

التراكيب النحوية وشواذ القراءات

٣٢ - ٨٩

١ - المرفوعات : ٣٢ - ٤٥
الجملة ، اضمار الفاعل ، الجملة الاسمية ، حذف المبتدأ والخبر ، حذف خبر ان ، تنكير اسم كان وتعريف خبرها ، رفع اسم كان وخبرها .

٢ - المنصوبات : - ٤٥ - ٦٢
المفعول به وحذفه ، اعمال اسم الفاعل مثنى ومجموعا ،
اسلوب النداء : ترخيم المنادى ، نداء المضاف الى ياء المتكلم ، الندبة .
الحال : الحال المفردة ، تنكير صاحب الحال ، وقوع الحال جملة طلبيه ، تعدد الحال ، تقدم الحال على عاملها اذا كان معنى ، وقوع المصدر حالا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - المجـــرورات : - ٦٣ - ٧١
الفصل بين المتضايفين ، احوال شبه الجملة ، محل شبه الجملة .

٤ - التوابـــع : - ٧٠ - ٨٥
النعت ، حذف الموصوف وأغراض الحذف .
البدل : ابدال النكرة من المعرفة ، الابدال من الضمير ، الابدال من الفعل .
العطـــف : عطف مفرد على مفرد ، جملة على جملة ، جملة على مفرد ، الفصل بين المتعاطفين ، العطف على الضميرين ، المتصل والمستتر ، العطف على المحل .
العائد ، أنماطه وحذفه : ٨٦ - ٨٩

الفصل الثالث

الأدوات والروابط النحوية وشواذ القراءات
٩٠ - ١٢٩

مصطلح الاداة ، تعريفها ، قيمتها ، عملها ، زيادتها وحذفها ، اضمار "ان" الناصبة ، وموقف البصريين والكوفيين ، حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط ، حذف اداة الاستفهام :
اذا وخروجها عن الظرفية / ، إن وأن المخففتان وشروط اعمالهما ، أو افادتها معنى الاضراب ، ايان : لغاتها واشتقاقها والمجازاة بها ، الباء ، وقوعها زائدة ، من أنواعها ، باء الحال ، باء البدل .
بين ، وقوعها اسما معربا ، بناؤها وموقف الأخفش فيها .
حاشا بين الحرفية والفعلية والاسمية ، آراء العلماء فيها .
اللام : لام الجر ، لام كي ، لام التعريف .
لا النافية للجنس
لما : تركيبها : وأحوالها ، مع واسميتها ، الواو وزيادتها ، ويكأن تركيبها وأقوال العلماء فيها .

الفصل الرابع

الحركات قيمتها ودورها في التراكيب
١٣٠ - ١٤٦

أولا حركات الاعراب ، آراء العلماء القدماء والباحثين المعاصرين فيها . ١٣٠
التنوين ودلالته ، جواز حذفه . ١٣٧
حركات الاعراب والقراءات الشاذة :
أ - تسكين ما حقه الرفع : ١٣٩

"All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ تسكيـــن المجـــرور : ١٤١
جـ ـ تسكين المنصـــــوب : ١٤٢
د ـ التسكيـن بنقل حركـات الاعـــراب : ١٤٣
هـ ـ التسكيـن بالاشبـــــــاع : ١٤٣
و ـ الاتبـــــــــاع : ١٤٤

ثانيـــا : حركـات المبانـي الصرفيـــــة : ١٤٥

الفصـل الخامـس
التخريجات الصوتية والصرفية والبلاغيـة : ١٤٧ ـ ١٨٣

أولا : التخريجـــات الصوتيـــــة : ١٤٧ ـ ١٥٦
الابـدال ، الاتبـــاع ، الاشبـاع ، ظاهـرة الحذف والتخفيـف الصوتـي ، حـذف الهمـزة وتخفيفهـا ، التقاء الساكنيـن .

ثانيـا : التخريجـــات الصرفيـــــة : ١٥٦
ظـاهـرة الاشتقـــاق الأكبـــــر : ١٦٥

ثالثا : التخريجـات البلاغيـــــة : ١٦٨ ـ ١٨٣
الالتفات ، خطـاب الواحـد والأثنين والجماعـة ، التضميـــــن ، المبالغـة ، التجريـد ، التقديم والتأخيـر .

ـ خلاصـة البحـث بالعربيـــــة : ١٨٤ ـ ١٨٨

ـ خلاصـة البحث باللغة الانجليزيـة : ١٨٩

ـ تراجـم القـــــــراء : ١٩٠ ـ ١٩٤

الفهـارس والمسـارد الفنيـة ،

ـ اولا : الايـات والقراءات القرآنيـــة : ٢٠٧

ـ ثانيا : الأحاديـــث : ٢٠٨

ـ ثالثا : الأمثـال والأقـوال : ٢٠٩

ـ رابعا : الأشعـــار : ٢١٠ ـ ٢١٥

ـ خامسا : المصـادر والمراجـع : ٢١٦ ـ ٢٢٦

ـ سادسا : سرد تفصيلي لموضوعات البحـث : ٢٢٧ ـ ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit